جحظة البرمكي

أعــلام الظرفــاء

جحظة البرمكي

هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف بجحظة البرمكي النديم؛ ولد في شعبان سنة أربع وعشرين ومائتين. وجحظة لقب، غلب عليه لقبه به عبد الله بن المعتز.

قال أبو عبد الله الحسن ابن علي بن مقلة: سألت جحظة عمن لقبه بهذا اللقب، فقال: ابن المعتز لقيني يوماً فقال لي: ما حيوان إذا قلب صار آلة للبحرية؟؟ فقلت: علق، إذا عكس صار قلعاً فقال: أحسنت يا جحظة، فلزمني هذا اللقب، وهو من في عينيه نتو جداً، وكان قبيح المنظر، وكان له لقب آخر، يلقبه به المعتمد، وهو خنياكر، وما أدري أي شيء معناه؟ كان حسن الأدب، كثير الرواية للأخبار، متصرفاً في فنون من العلم، كالنحو واللغة والنجوم، مليح الشعر، مقبول الألفاظ، حاضر النادرة وكان طنبورياً حاذقاً فيه فائقاً، مات في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بجيل، ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين، ذكره محمد بن إسحاق النديم، فقال: ولجحظة من التصانيف: كتاب الطبيخ - لطيف، - كتاب الطنبوريين، كتاب فضائل السكباج، كتاب الترنم، كتاب المشاهدات، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله، كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام، كتاب ديوان شعره.

قال: كان جحظة وسخاً قذراً دني النفس، في دينه قلة، وهو القائل:

إذا مـــا ظمئـــت إلى ريقـــه ::: جعلـــت المدامـــة منـــه بـــديلا
وأيـــن المدامـــة مـــن ريقـــه؟ ::: ولكـــن أعلـــل قلبـــاً غلـــيلا

وله الأشعار الرائقة، فمن شعره قوله:

أنا ابن أناس مول النـــاس جـــودهم ::: فأضحوا حـــديثاً للنـــوال المشـــهر
فلم يخل من إحســـانهم لفـــظ مخـــبر ::: ولم يخـــل مـــن تقـــريظهم بطـــن

دفتر وله أيضاً:

فقلت لها بخلت علي يقظى ::: فجودي في المنام لمستهام
فقالت لي وصرت تنام أيضا ::: وتطمع أن أزورك في المنام

وله أيضاً:

أصبحت بين معاشرٍ هجروا الندى ::: وتقبلوا الأخلاق من أسلافهم
قوم أحاول نيلهم فكأنما ::: حاولت نتف الشعر من آنافهم
هات اسقنيها بالكبير وغنني ::: ذهب الذين يعاش في أكنافهم

وله أيضاً:

يا أيها الركب الذي ::: ن فراقهم إحدى البليه
وصيكم الصب المقي ::: م بقلبه خير الوصيه

وله أيضاً:

وقائلة لي كيف حالك بعدنا ::: أفي ثوب مثرٍ أنت أم ثوب مقتر
فقلت لها لا تسأليني فإنني ::: أروح وأغدو في حرامٍ مقتر

وله ديوان شعر أكثره جيد، وقضاياه مشهورة، ومن أبياته السائرة قوله:

ورق الجو حتى قيل هذا ::: عتاب بين جحظة والزمان

ولابن الرومي فيه - وكان مشوه الخلق -:

نبئت جحظة يستعير جحوظه ::: من فيل شطرنج ومن سرطان
وارحمتا لمنادميه تحملوا ::: ألم العيون للذة الآذان

وتوفي سنة ست وعشرين وثلثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين، بواسط، وقيل: حمل تابوته من واسط إلى بغداد، رحمه الله تعالى[1].

مواقف من حياته:

(1) انظر: معجم الأدباء، 2/ 241، تاريخ بغداد، 4/ 65، الفهرست، ص 145، وفيات الأعيان، 1 /133،، الأنساب: 2 / 170 - 171، المنتظم، 6 / 283 - 286، العبر، 2 / 201، الوافي بالوفيات، 6 / 286 - 289، مرآة الجنان، 2 / 288، البداية والنهاية، 11 / 185 - 186، لسان الميزان، 1 / 146، النجوم الزاهرة، 3 / 250 - 251، سير أعلام النبلاء، 15 /222.

وهذا يسير في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها:

حدث علي بن سعيد الكاتب قال: قال لي جحظة: إن كتمت عليّ حدثتك بحديث ما مر على مسامعك مثله قط، قلت: أنا موضع سرك والمجالس بالأمانة، قال: اصطبحت أياماً فأصبحت يوماً مخموراً، فبينا أنا جالس على باب داري إذ أقبلت جارية متنقبة راكبة على حمار وبين يديها وصائف كالغزلان يحففن بها ويمسكن عنان حمارها، وقد سطعت السكة من روائح طيبها، فبقيت مبهوتاً متحيراً أعجب من كمال خلقها ونور ما بدا لي من وجهها، فلما جاوزتني وقفت وتأملتني ساعة ثم سلمت فرددت عليها أحفى سلام وأبره وقمت على قدمي إجلالاً لها وإعظاماً، فقالت: يا فتى هل في منزلك محتمل للقايلة في هذا اليوم، قلت: يا سيدتي على الرحب والسعة ولك الفضل والمنة؛ فما كذبت أن ثنت رجلها ونزلت، وقالت: أدخل بين يدي، وأمرت جواريها فدخلن بالحمار إلى الدهليز ثم دخلت وما أحسب جميع ما أراه إلا نوماً لا يقظة وشكاً لا يقيناً، فلما استقر بها المجلس مدت يدها إلى نقابها فحلته كما قال الشاعر:

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت ::: بأحسن موصولين كفٍ ومعصم

فتفكرت في أمري وأنا لا أعقل، من السرور فقلت: هذه جارية مغنية.

بلغها عني صوت من صنعتي فأرادت أن تأخذه عني، فقلت: يا سيدتي أتأذنين في أن أقرب ما حضر من طعام وشراب وأغنيك ما لعله بلغك من متخير أصواتي فقالت: ما على ذلك فوت، ولكن قم الآن وشأنك فاقض حاجتك، ثم تصير إلى ما تريد. فقمت إليها، وقد أخذني الروع حتى ما أملك نفسي مهابة لها، فلما فرغت مما لم أكن آمله ولا تسمو همتي إليه، قلت: يا سيدتي هل لك في الطعام وأدعو بالعود فأغنيك ما قصدت له؟ قال: عسى أن يكون هذا في يوم غير هذا، ومدت يدها إلى قناعها فاعتجرت به ونهضت مسرعة، فلم أحر جواباً وبقيت متحيراً؛ فلما صارت إلى الدهليز لتركب قلت: سألتك بنعمة الله عليك ما خبرك؟ قالت: لو تركت المسألة كان أحب

إليك وأعود عليك، قلت: لابد لي من علم حالك، قالت: أما إذ أبيت فسأصدقك؛ لي ابن عم هو بعلي يخالفني إلى جويرية لي مشوهة المنظر، فأقسمت بالأيمان المحرجة أن أطوف بغداد حتى أبذل نفسي لأقبح من أرى وجهاً وأوحش من أقدر عليه صورة، فأنا أطوف من الفجر إلى هذه الساعة فما رأيت بها أقبح منك، فبررت قسمي، وإن عاد إلى مثل فعله عدت إليك إن لم أجد أوحش منك، وهذا يسير في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها؛ ثم تولت عني وبقيت أخزى ممن دخل النار، فوالله ما ظننت يا أبا الحسن أن إفراط القبح لينتفع به حتى كان ذلك اليوم؛ قلت: هون عليك فإن القرد إنما يقع السرور به والضحك منه لتجاوزه في قبح الصورة، قال: فاكتم علي، قلت: نعم[1].

إلا الماء:

سئل عن دعوة حضرها. فقال: كل شيء كان بها بارداً إلا الماء.

فقطعني عنه:

وكتب ابن المعتز: كتب عليّ أن أجيب داعي الأمير فانقطع شريان الغمام فقطعني عنه. فكتب إليه: إن فاتني السرور برؤيتك لم يفتني الأنس بلفظتك.

وقال جحظة لابن طومار:

خيالك سمير نفسي إذا نمت ::: وذكرك مزاجها إذا انتبهت

ومن كلامه: رب غائب بشخصه حاضر بخلوص نفسه.

وكان الشبلي يرقص على قوله:

ورق الجو حتى قيل: هذا عتاب بين جحظة والزمان [2]

كيف حالك؟:

(1) وفيات الأعيان، 1 /404.
(2) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص 135.

وقيل لجحظة: كيف حالك؟ فقال: كما قال الشاعر:

أي شيء رأيت أعجب من ذا ::: إن تفكرت ساعة في الزمان؟
كل شيء من السرور بوزن ::: والبلايا تكال بالقفزان [1]

ومن شعره:

إن الزمان لمن تقدم ::: في النباهة منقلب
وكان صديق الورى ::: بالحق ينطق عن لسانه [2]
قد نلتم منحة ما نالها بشر ::: وحزتم نعمة ما حازها ملك
فليت شعري أمقدار تعمدكم ::: بما أتاكم به أم خولط الفلك؟[3]

وقل يتمني زوال مملكة خسيس:

سألت الله تعميراً طويلاً ::: ليهجني بخطب يعتريكم
أخاف بأن أموت وما أرتني ::: صروف الدهر ما أهواه فيكم!

والتعريض بالغدر

وأمنتني ثم عاقبتني ::: فكان أمان أبي مسلم!

من تصاحبه النذالة:

كم سألنا عن النذالة واللؤ ::: م فكانا في داره راتبين[4]

المدعى أكارم العجم:

وأهل القرى كلهم ينتمون ::: لكسرى ادعاء فأين النبيط؟ [5]

الدعاء بإزالة الدولة:

سألت الله تعميراً طويلاً ::: ليهجني بخطب يعتريكم
أخاف بأن أموت ولن تريني ::: صروف الدهر ما أهواه فيكم[6]

(1) معجم الأدباء، 1 /86.
(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 49/1.
(3) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 78/1.
(4) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 139/1.
(5) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 161/1.
(6) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 186/1.

شكاية من لا يعوده إخوانه:

مرضت فلم يكـــن في الأرض حـــرّ ::: يشـــــرفني بـــــبرّ أو ســـــلام
وضـــنّوا بالعيـــادة وهـــي أجـــر ::: كـــأن عيـــادتي بـــذل الطعـــام[1]

ترك مبيع لغلائه:

وأنشد جحظة هذا البيت:

إلا الـــدقيق فإنـــه قـــوت لنـــا ::: فإذا غلا يوماً فقـــد نـــزل الـــبلا[2]

ما معنى مانع نفسه؟:

وقال جحظة: رأيت سوقياً ينادي على جدي علقه يقول: هذا مانع نفسه. فقلت له: ما معنى مانع نفسه؟ فقال: يا سيدي لا يقدر أحد أن يأكل منه لقمتين لسمنه. قال: ورأيت آخر وهو يقول زبد في أديم. وقال جراب الدولة: ورأيت ثلاثة من الهراسين على بقعة، وهم يتكايدون في مدح هرائسهم، فواحد أخرج قطعة هريسة علقها بالمغرفة وهو يقول: أنزل ولك الأمان، وآخر يقول: يا قوم ألحقوني أدركوني أجذبها، وتجذبني والغلبة لها، والثالث يقول: أنا لا أدري من أكل من هريستي لقمتين أضاء ببوله سراجه شهرين[3].

متعذر لفقره بأن الجود فوق ماله:

جاء الشتاء ومـــا عنـــدي لـــه ورق ::: مما وهبت، ولا عنـــدي لـــه خلـــع
كانت فبددها جـــود ولعـــت بـــه ::: وللمساكين أيضـــاً بالنـــدى ولـــع

معاتبة الدهر لتقديم جاهل وتأخير فاضل:

غلـــط الـــدهر بمـــا أعطـــاكم ::: وفعـــال الـــدهر جهـــل وغلـــط

استقباح مطل قادر:

إذا كانـــت صـــلاتكم رقاعـــاً ::: تخطـــط بالأنامـــل والأكـــف

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 197/1.
(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 214/1.
(3) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 216/1.

ولم تكـــن الرقـــاع تجـــر نفعـــاً ::: فما خطـــي خـــذوه بـــألف ألـــف

المتشفع بكرم مسؤولة:

وما لي حـــق واجـــب غـــير أنـــني ::: إلـــيكم بكـــم في حـــاجتي أتوســـل

عذر من أفقره الجود:

جاء الشتاء ومـــا عنـــدي لـــه ورق ::: فيما عددت ولا عنـــدي لـــه خلـــع

كانت فبددها جـــود ولعـــت بـــه ::: وللمساكين أيضـــاً بالنـــدى ولـــع

الحزين الهارب مخافة أن يسأل:

إذا ذكر الناس التطـــول أرعـــدت ::: فرائصـــه خوفـــاً لـــذكر التطـــول

الصداقة والصحبة:

– وإذا جفـــــــاني صـــــــاحبٌ ::: لم أَسْـــتَجزْ مـــا عشْـــتُ قَطْعَـــهْ

– وتركتُـــــهُ مثـــــلَ القبـــــو ::: رِ (القبور) أزورُهـــا في كـــلُ جمعـــهْ

– لاتعـــــدَّنَّ للزمـــــانِ صـــــديقاً ::: وأعـــــدَّ الزمـــــانَ للأصـــــدقاءِ

– إنِي إذا مـــــا الخِـــــلُّ خادَعـــــهُ ::: عني الزمانُ فحـــالَ عـــن عَهْـــديَ

– جانيتُـــــهُ ولـــــو أنـــــه عُمْـــــري ::: وقطعتُـــــهُ ولـــــو أنـــــه زنـــــدي

من دعا صديقه ووصف له طعامه وشرابه:

كتب جحظة إلى صديق له:

لنـــا يـــا أخـــي فرحـــة وافـــره ::: وقـــــدر مـــــوفرة حاضـــــره

وراح تريـــــك إذا صـــــففت ::: ســـنا الـــبرق في الليلـــة المـــاطره

ومســـــمعة لم يخنـــــها الصـــــواب ::: وزامـــــرة أيمـــــا زامـــــره

ومـــا شـــئت مـــن خـــبر نـــادر ::: ونـــــادرة بعـــــدها نـــــادره

فواف وإن كنت يـــا بـــن الكـــرام ::: وحاشـــاك في الســـاعة الآخـــرة

مدح القائم بخدمة الضيف:

يـــا أم طـــارق ليـــل قـــد ألم بنـــا ::: اســـتغنمي أجـــره فـــالأجر مغتـــنم

كـــوني لـــه أمـــة فيمـــا يحـــل لـــه ::: ورفهيـــه ففـــي ترفيهـــه كـــرم

من لا تمس يده ضيفه طعامه:

طوبى لمن يشبع من خبزكم ::: فهو على مهجته آمن

الاعتذار إلى من قللت زيارته:

فإن يك عن لقائك غاب وجهي ::: فلم تغب المودة والإخاء
ولم يزل الثناء عليك تترى ::: بظهر الغيب يتبعه الثناء

تمني عود الأيام السالفة:

ألا ليت عيشاً أولاً كر راجعاً ::: وإلا فعيشٌ آخرٌ مثل أول

تسلط أيام البين على وصف الأحباب:

جرت نوب الأيام بيني وبينه ::: فلم يبق إلا ما أعيد من الذكر

تباطؤ الصبح:

وليلي في كوكبه حرانٌ ::: فليس لطوله منه انقضاء
عدمت محاسن الإصباح فيه ::: كان الليل جودٌ أو رفاء

وأنشد جحظة لنفسه:

الحمد لله ليس لي كاتب ::: ولا على باب منزلي حاجب
ولا حمار إذا عزمت علي ::: ركوبه، قيل: جحظة راكب
ولا قميص يكون لي بدلاً ::: مخافة من قميصي الذاهب
وأجرة البيت فهي مقرحة ::: أجفان عيني بالوابل الساكب
إن زارني صاحب عزمت على ::: بيع كتاب لشبعة الصاحب
أصبحت في معشر تشمتهم ::: فرض من الله لازب واجب
فيهم صديق في عرسه عجب ::: إذا تأملت، أمرها عاجب
تحسبها حرة وحافرها ::: أرق من شعر خالد الكاتب

وأنشد لنفسه:

ألحمد لله لم أقل قط: يا بد ::: ر ويا منصفاً ويا كافور
لا، ولا قلت: أين أين الشوا ::: هين ووزاننا وأين البذور
لا ولا قيل: قد أتاك من الضي ::: عة بر موفر وشعير
وأتاك العطاء بالند لما ::: قيل لي إن في الخزين بخور
أنا خلو من المماليك والأم ::: لاك جلد على البلا وصبور

لـــيس إلا كيســـرة وقـــديح ::: وخليـــق أتـــت عليـــه الـــدهور

قال جحظة: ومررت بوقاد يوقد في التنور ويغني:

أنـــا أهـــواك نـــور الـــل ::: ه فافعـــل مـــا بـــدا لـــك
إن تكـــن تمـــنعني شـــخ ::: صـــك فابـــذل لي خيالـــك
قـــد أخـــذت الـــدن والطـــن ::: بـــور والكلـــب فمالـــك؟
قـــل لمـــن جنبـــك القـــم ::: مـــوث مـــن دســـك والـــك

وله أيضاً:

ولي صـــاحب زرتـــه للســـلا ::: م فقـــابلني بالحجـــاب الصـــراح
وقـــالوا تغيـــب عـــن داره ::: لخـــوف غـــريم ملـــح وقـــاح
ولـــو كـــان عـــن داره غائبـــاً ::: لأدخلـــني أهلـــه للنكـــاح

وقال يستزير بعض إخوانه:

لنـــا يـــا أخـــي زلـــة وافـــره ::: وقـــدر معجلـــة حاضـــره
وراح تزيـــل إذا صـــفقت ::: ســـنا الـــبرق في الليلـــة المـــاطره
ومســـمعة لم يخنـــها الصـــوا ::: ب وزامـــرة أيمـــا زامـــره
ومـــا شـــئت مـــن خـــبر نـــادر ::: ونـــادرة بعـــدها نـــادره
فآت ولو كنت يـــا ابـــن الكـــرام ::: حاشـــاك مـــن ذاك في الآخـــره

وأنشد لنفسه أيضاً:

ما زارني في الحـــبس مـــن نادمتـــه ::: كأســـين: كـــأس مـــودة ومـــدام
بخلوا علي وقـــد طلبـــت ســـلامهم ::: فكـــأنني طالبتـــهم بطعـــام

وأنشد أيضاً لنفسه:

وذي جـــدة طلبـــت إليـــه بـــراً ::: مـــن الجلســـاء مـــذموم الخلائـــق
فأقســـم أنـــه رجـــل فقـــير ::: أرانيـــه المهـــيمن وهـــو صـــادق
كـــأني بالمنـــازل عـــن قليـــل ::: خلـــون مـــن المطـــرزة النمـــارق
وقـــد ظفـــر النســـاء بمـــا تـــركتم ::: فصـــار لمـــاهر بالنيـــك حـــاذق

وأنشد أيضاً لنفسه في أماليه:

وقائل قال لي: من أنت؟ قلـــت لـــه ::: مقال ذي حكمه واتت لـــه الحكـــم

لست الذي تعرف البطحاء وطأتـه ::: والبيـت يعرفـه والحـل والحـرم
أنا الـذي دينـه إسـعاف سـائله ::: والضر يعرفـه والبـؤس والعـدم
أنا الذي حب أهل البيـت أفقـره ::: فالعدل مسـتعبر والجـور مبتسـم

وله أيضاً:

ولي كبد لا يصلح الطـب سـقمها ::: من الوجد لا تنفك داميـة حـرى
فيا ليت شـعري والظنـون كـثيرة ::: أيشعر بي من بت أرعى له الشـعرى

وله أيضاً:

شكري لإحسـانك شـكر امـرئ ::: يستوهب الإحسـان مـن واهبـه
وكيـف لا أشـكر مـن لا أرى ::: في منـزلي إلا الـذي جـاد بـه

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه.

حسـبي ضـجرت مـن الأدب ::: ورأيتـه سـبب العطـب
وهجـرت إعـراب الكـلام ::: ومـا حفظـت مـن الخطـب
ورهنـت ديـوان النقـا ::: ئـض واسـترحت مـن التعـب

وله أيضاً:

لا تعجـبي يـا هنـد مـن ::: حـالي فمـا فيهـا عجـب
إن الزمـان بمـن تقـد ::: م في النباهـة منقلـب
فالجهـل يضـطهد الحجـى ::: والـرأس يعلـوه الـذنب [1]

علي يا أبا الحسن كيف شئت:

حدث غرس النعمة في كتاب الهفوات قال: كان جحظة لما أسن يفسو في مجالسه، فيلقى من يعاشره منه جهداً. قال الحسين بن العباس: وكنت أحب غناءه، والكتابة عنه، لما عنده من الآداب، وكان يستطيب عشرتي، وكنت إذا جلست عنده أخذته غلبة الريح، فجئته يوماً في مجلس الأدب، والناس عنده، وهو يملي، فلما خفوا، قال لي ولآخر كان معي: اجلسا عندي حتى أقعدكما على أسود، وأطعمكما طباهجة بكبود، وأسقيكما من

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1 /87.

معتقة اليهود، وأبحركما بعنبر وعود، أطيب من الندود، وأغنيكما غناء المشدود، فقلت: هذا موضع السجود، وجلسنا، وصديقي لا يعرف خلقه في الفساء، وأنا قد أخذت الريح فوقي، فوفى لنا بجميع ما ذكره، وقال لنا، وقد غنى وشربنا: نحن بالغداة علماء وبالعشي في صورة المخنكرين، فلما أخذ النبيذ منه، أخذ يفسو، وصديقي يغمزني ويتعجب، فأقول له: إن ذلك عادته وخلقه، وإن سبيله أن يحتمل، إلى أن غني صوتاً من الشعر، والصنعة له فيه، وكان يجيده:

إن بالحيرة قسا قد مجن ::: فتن الرهبان فيها وافتتن
ترك الإنجيل حيناً للصبا ::: ورأى الدنيا مجوناً فركن

قال: فطرب عليه صديقي طرباً شديداً، واستحسنه كثيراً، وأراد أن يقول له: أحسنت والله يا أبا الحسن. فقال له ما في نفسه يتردد من أمر الفساء: أفس علي يا أبا الحسن كيف شئت، فخجل جحظة، وخجل الفتى، انصرفنا.

أفرغ من فؤاد أم موسى:

وحدث الخطيب، عن أبي الفرج الإصبهاني، قال: حدثني جحظة قال: اتصلت علي إضاقة، أنفقت فيها كل ما أملكه، حتى بقيت ليس في داري سوى البواري، فأصبحت يوماً، وأنا أفلس من طنبور بلا وتر، كما في المثل، ففكرت كيف أعمل، فوقع لي أن أكتب إلى محبرة بن أبي عباد الكاتب، وكنت أجاوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنتين، وحالفه النقرس، فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولاً على الأيدي أو في محفة، وكان مع ذلك على غاية الظرف، وكبر النفس، وعظم الهمة، ومواصلة الشرب والقصف، فأردت أن أتطايب عليه ليدعوني، فآخذ منه ما أنفقه مدة، فكتبت إليه:

ماذا ترى في جدي ::: وفي عقار بوارد
وقهوة ذات لون ::: يحكى خدود الخرائد

ومسمع يستغني ::: من آل يحيى بن خالد
إن المضيع لهذا ::: نزر المروءة بارد

فما شعرت إلا بمحفة محبرة يحملها غلمانه إلى داري، وأنا جالس على بابي، فقلت له: لم جئت؟ ومن دعاك؟ فقال: أنت، فقلت: إنما قلت لك: ماذا ترى في هذا؟ وعنيت في بيتك، وما قلت لك: إنه في بيتي، وبيتي والله أفرغ من فؤاد أم موسى، فقال: الآن قد جئت ولا أرجع، ولكن أدخل إليك، وأستدعي من داري ما أريد، قلت: ذاك إليك، فدخل، فلم ير في بيتي إلا بارية، فقال: يا أبا الحسن، هذا والله فقر مطيح، هذا ضر مدقع، ما هذا؟ قلت: هو والله ما ترى، فأنفذ إلى داره، فاستدعى فرشاً وآلة وقماشاً وغلماناً، وجاء فراشوه ففرشوا ذلك، وجاء وافر الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج إليه، وجاء طباخه بما كان في مطبخه، وهو شيء كثير، بآلات ذلك، وجاء شرابيه بالأواني والمخروط والفاكهة وآلة التبخير والبخور وألوان الأنبذة، وجلس يومه ذلك وليلته عندي، يشرب على غنائي وغناء مغنية أحضرها، كنت ألقنها، فلما كان من الغد سلم إلى غلامه كيساً فيه ألف درهم، ورزمة ثياب صحاح، ومقطوعة من فاخر الثياب، واستدعى محفة فجلس فيها، وشيعته، فلما بلغ آخر الصحن،قال: مكانك يا أبا الحسن، احفظ بابك، فكل ما في دارك لك، فلا تدع أحداً يحمل منه شيئاً، وقال للغلمان: اخرجوا، فخرجوا بين يديه، وأغلقت الباب على قماش بألوف كثيرة.

وأنشد السلامي لجحظة في سعد الحاجب:

يا سعد إنك قد خدمت ثلاثة ::: كل عليه منك وسم لائح
وأراك تخدم رابعاً لتميته ::: رفقاً به فالشيخ شيخ صالح
يا خادم الوزراء إنك عندهم ::: سعد ولكن أنت سعد الذابح[1]

وحسبنا الله ونعم الوكيل:

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1 /88.

وحدث جحظة قال: دخلت، وأنا في بقايا علة، على كاتب، قال ابن بشران، على هارون ابن عريب الخالي، فقدم إلينا مضيرة عصبان(طعام)، فأمعنت فيها، فقال: - جعلت فداك - أنت عليل، وبدنك نحيل، والعصب ثقيل، واللبن يستحيل، فقلت له: والعظيم الجليل، المفضل المنيل، لا تركت منها كثيراً ولا قليلاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فغضب علي فضربني عشرين مقرعة، فقلت:

ولي صاحب لا قدس الله روحه ::: وكان من الخيرات غير قريب
أكلت عصيداً عنده في مضيرة ::: فيالك من يوم علي عصيب

وأما إذا كانت حامضةً فلا!:

قال: ودخلت إليه يوماً آخر، فقدم إلي لوزينجاً (حلوي) لها أيام وقد حمضت، فأخذت أمعن في أكلها، فقال لي: إن اللوزينج إذا كان بالجوز أبشم وإذا كان باللوز أتخم، فقلت: نعم يا سيدي إذا كانت لوزينجاً، وأما إذا كانت حامضةً فلا!

فأضحت كالسماء على السماء:

وحدث عبد الله بن المعتز، قال: عربد ابن أبي العلاء على جحظة بحضرتي، فأمرت بتنحية جحظة إلى أن رضي أحمد، فكتب إلي جحة:

ألـيس من العجائب أن مثلي ::: يقام لأحمد بن أبي العلاء
ولي نفس أبت إلا ارتفاعاً ::: فأضحت كالسماء على السماء
لقد غضب الزمان على أناس ::: فأبلاهم بأولاد الزناء

يا قتيل القطائف:

قال جحظة: سلمت على بعض الرساء وكان مبخلاً، فلما أردت الانصراف قال لي. يا أبا الحسن، إيش يقول في قطائف تأتيه؟ ولم يكن له بذلك عادة؟ فقلت: ما آبى ذلك، فأحضر لي جاماً فيه قطائف، قد خمت فأرجفت فيها، وصادفت مني سغبة، وهو ينظر إلي شزراً، فقال لي: يا أبا الحسن، إن القطائف إذا كانت بجوز أتخمتك، وإذا كانت بلوز أبشمتك،

قال: فقلت: هذا إذا كانت قطائف، أما إذا كانت مصوصاً فلا. وعملت لوقتي هذه الأبيات:

دعاني صديق لي لأكل القطائف ::: فأمعنت فيها آمناً غير خائف
فقال، وقد أوجعت بالأكل قلبه ::: رويدك، مهلاً، فهي إحدى المتالف
فقلت له: ما إن سمعنا بهالك ::: ينادى عليه: يا قتيل القطائف

والله حتى يحفظ تلك السورة:

وحدث أبو الفرج الإصبهاني قال: دعاني محمد بن النشار يوماً، ودعا جحظة، وأطال حبس الطعام جداً، وجاع جحظة، فأخذ دواة وبياضاً وكتب:

مالي وللنشار وأولاده ::: لا قدس الوالد والوالده
قد حفظا القرآن واستعملوا ::: ما فيه إلا سورة المائده

ورمى بها إلي، فقرأتها، ودفعتها إلى ابن النشار، فقرأها، ووثب مسرعاً، فقدم المائدة، فقاطعه جحظة، فكان يجهد جهده أن يجيئه فلا يفعل، فإذا عاتبناه قال: والله حتى يحفظ تلك السورة.

وله أيضاً:

يطول علي الليل حتى أمله ::: فأجلس والنوام في غفلة عني
فلا أنا بالراضي من الدهر فعله ::: ولا الدهر يرضى بالذي ناله مني[1]

إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك:

وحدث جحظة في أماليه: دخلت إلى عريب المأمونية مع شروين المغنى، وأبي العبيس المغنى، وأنا يومئذ غلام على قباء ومنطقة، وأنكرتني، وسألت عني، فأخبرها شروين، وقال لها: هذا فتى من أهلك، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي، وهو يغني بالطنبور، فأدنتني، وقربت مجلسي، ودعت بطنبور، وأمرتني أن أغني، فغنيت أصواتاً، فقالت: أحسنت يا بني، ولتكونن مغنياً، ولكن إذا حضرت

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1 /89.

بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك، تعني بين عوديهما، وأمرت لي بمائة دينار.

وأنشد لنفسه في أماليه:

دعيني من العذل أين الكبير؟ ::: بحرمة معبودك الأكبر
فلست بباك على ظاعن ::: ولا طلل محول مقفر
ولكن بكائي على ماجد ::: أراد نوالاً فلم يقدر

وأنشد فيه لنفسه:

مرضت فلم يعدني في شكاتي ::: من الإخوان ذو كرم وخير
فإن مرضوا، وللأيام حكم ::: سينفذ في الكبير وفي الصغير
غدوت على المدامة والملاهي ::: وإن ماتوا حزنت على القبور

وأنشد فيه لنفسه:

يا راقداً، ونسيم الورد منتبه ::: في ربقة القفص والأطيار تنتحب
الورد ضيف، فلا تجهل كرامته ::: وهاتها قهوة في الكاس تلتهب
سقياً له زائراً تحيا النفوس به ::: يجود بالوصل حيناً ثم يجتنب
تباً لحر رآه وهو ذو جدة ::: لم يقض من حقه بالشرب ما يجب

وقد قال جحظة:

ناديت عمراً، وقد مالت بجانبه ::: مدامة، أخذت بالراس والقدم
قد لاح في الدير نار الراهبين وقد ::: ناداك بالصبح ناقوساهما، فقم
فقام يعثر في أثواب نعسته ::: لبزل صافية كالنجم في الظلم
فاستلها، وشدا، والكأس في يده: ::: سلم على الربع من سلمى بذي سلم
لو دام لي في الورى خل وعاتقة ::: لما حفلت بذي قربى ولا رحم
ولا بكرت إلى حلو لنائله ::: ولا التفت إلى شيء من النعم[1]

فأنا على أي شيء أطرب؟:

قال جحظة: ربحت بأكلة افتديتها مع الحسن ابن مخلد خمسمائة دينار،

(1) معجم الأدباء، 1 /90.

وخمسمائة درهم، وخمسة أثواب فاخرة، وعتيدة طيبة سرية، فقيل له: كيف كان ذلك؟ فقال: كان الحسن بن مخلد بخيلاً على الطعام، سمحاً بالمال، وكان يأخذ ندماءه بغتة، فيسقيهم النبيذ، ويؤاكلهم فمن أكل قتله قتلا، ومن شرب معه على الخسف حظي عنده، قال: فكنت عنده يوماً، فقال لي: يا أبا الحسن، قد عملت غداً على الصبوح الجاشري فبت عندي، فقلت: لا يمكنني، ولكني أباكرك قبل الوقت، فعلى أي شيء عملت أن تصطبح؟ فقال: قد أعد لنا كذا وكذا، ووصف ما تقدم به إلى الطباخ بعمله، فعقدنا الرأي أن أباكره، وقمت وجئت إلى منزلي، ودعوت طباخي فتقدمت إليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه، ويفرغ منه وقت العتمة، ففعل، ونمت، وقمت وقد مضى نصف الليل، فأكلت ما أصلح، وغسلت يدي وأسرج لي وأنا عامل على المضي إليه، إذ طرقتني رسله، فجئته، فقال. بحياتي أكلت؟ قلت. أعيذك بالله، انصرفت من عندك قبل الغروب، وهذا نصف الليل، فأي وقت أصلح لي شيء؟ أو أي وقت أكلت شيئاً؟ سل غلمانك على أي حال وجدوني، فقالوا. وجدناه يا سيدنا وقد لبس ثيابه، وهو ينتظر أن يفرغ له من إسراج بغلته ليركبها، فسر بذلك سروراً شديداً، وقدم الطعام، فما كان في فضل أشمه، فأمسكت عن تشعيبه ضرورة، وهو يستدعي أكلي، ولو أكلت أحل دمي، قال: وكذا كانت عادته، فأقول: هو ذا آكل يا سيدي أفي الدنيا أحد يأكل أكثر من هذا؟ وانقضى الأكل، وجلسنا على الشرب، فجعلت أشرب بأرطال، وهو يفرح، وعنده أني أشرب على الريق، أو على ذلك الأكل الذي جلست معه، ثم أمرني بالغناء، فغنيت، فاستطاب ذلك، وطرب، وشرب أرطالاً، فلما رأيت النبيذ قد عمل فيه، قلت: يا سيدي تطرب أنت على غنائي، فأنا على أي شيء أطرب؟ فقال: يا غلام هات دواة، فأحضرها، فكتب لي رقعة ورمى بها غلي، وإذا هي على صيرفي يعامله بخمسمائة دينار، فأخذتها وشكرته، ثم غنيته، وطرب وزاد سكره، فطلبت منه ثياباً، فخلع

علي خمسة أثواب، ثم أمر أن يبخر كل ما بين يديه، فأحضرت عتيدة حسنة سرية فيها طيب كثير، فأخذ الغلمان يبخرون منها للناس، فلما انتهوا إلي، قلت: يا سيدي: وأنا أرضى أن أتبخر فحسب؟ فقال لي: ما تريد؟ قلت: أريد نصيبي من العتيدة، قال: قد وهبتها لك، فأخذتها، وشرب بعد ذلك رطلاً، واتكأ على مسورته، وكذا كانت عادته، إذا سكر، فقام الناس من مجلسه، وقمت وقد طلع الفجر وأضاء، وهو وقت يبكر الناس في حوائجهم، فخرجت كأني لص قد خرج من بيت قوم على قفا غلامي الثياب والعتيدة كلها، فصرت إلى منزيلي ونمت نومة، ثم ركبت إلى رب عون أريد الصيرفي، فأوصلت إليه الرقعة، فقال: يا سيدي أنت لا رجل المسمى في التوقيع؟ قلت: نعم، قال: أنت تعلم أن مثلنا يعاملون للفائدة، قلت: أجل، قال: ورسمنا أن نعطى في مثل هذا ما يكسر في كل دينار درهماً، فقلت له: ليس أضايقك في هذا القدر، فقال: ما قلت هذا إلا لأربح عليك الكبير أيما أحب إليك: أن تأخذ كما يأخذ الناس، وهو ما قد عرفتك، أو تجلس مكانك إلى الظهر، حتى أفرغ من شغلي، ثم تركب معي إلى داري، فتقيم عندي اليوم والليلة تشرب، فقد والله سمعت بك، وكنت أتمنى أن أسمعك، ووقعت الآن لي رخيصاً، فإذا فعلت هذا، دفعت إليك الدنانير من غير خسران، فقلت: أقيم عندك، فجعل الرقعة في كمه، وأقبل على شغله، فلما دنا الظهر، جاء غلامه ببغلة فارهة، فركب وركبت معه، وصرنا إلى دار سرية حسنة، بفاخر الفرش والآلات، ليس فيها إلا جوار روم للخدمة من غير فحل، فتركني في مجلسه، ودخل، ثم خرج بثياب أولاد الخلفاء من حمام داره، وتبخر وبخرني بيده بند عتيق جيد، وأكلنا أسرى الطعام وأنظفه، وقمنا إلى مجلس سري للشرب، فيه فواكه وآلات بمال، وشربنا ليلتنا، فكانت ليلتي عنده أطيب من أختها عند الحسن بن مخلد، فلما أصبحنا، أخرج كيسين، في أحدهما دنانير، وفي الأخرى دراهم، فوزن خمسمائة دينار، وخمسمائة درهم، وقال: يا سيدي تلك ما

أمرت به، وهذه الدراهم هدية مني إليك، فأخذتها وصار الصيرفي صديقي، وداره لي[1].

ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك:

حدث ابن سيف الكاتب الراوية، قال: رأيت جحظة قد دعا بناءً ليبني له حائطاً فحضر، فلما أمسى اقتضى البناء الأجرة، فتماكسا وذلك أن الرجل طلب عشرين درهماً؛ فقال جحظة: إنما عملت يا هذا نصف يوم وتطلب عشرين درهماً؟ قال: أنت لا تدري، إني قد بنيت لك حائطاً يبقى مائة سنة؛ فبينما هما كذلك وجب الحائط وسقط؛ فقال جحظة: هذا عملك الحسن؟ قال: فأردت أن يبقى ألف سنة؟ قال: لا، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك. فضحك - أضحك الله سنه - [2].

أهكذا كان أبوك يغنيك؟:

وقال لنا أبو يوسف: قال جحظة: حضرت مجلساً فيه جماعةٌ من وجوه الكتاب، وعندنا قينةٌ محسنةٌ حاضرة النادرة، فقال لها بعضهم: بحياتي عليك غني لي:

لست مني ولست منك فدعني ::: وامض عني مصاحباً بسلام

فقالت: أهكذا كان أبوك يغنيك؟ فأخجلته.

والله لو كلت بها حسناتٍ ما قبلتها:

اشترى مدينيٌ رطباً، فأخرج صاحب الرطب كيلجةً صغيرةً ليكيل بها، فقال المديني: والله لو كلت بها حسناتٍ ما قبلتها [3].

ما البعجدة؟:

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1 /91.

(2) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1424 هـ 2003 م، 35/1.

(3) أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، 241/1.

وحدث جحظة في أماليه قال: كنت يوماً في مجلس ثعلب، فقال له رجل ياسيدي: ما البعجدة؟ قال: لا أعرفها في كلام العرب، فقال الرجل: فإني وجدتها في شعر عبد الصمد بن المعذل حيث يقول:

أعـــــــاذلتي أقصـــــــري ::: أبـــــع جـــــدتي بـــــالمنن

فاغتاظ أبو العباس غيظاً عظيماً وقال: ياقوم، أجيدوا أذنيه عركاً، أو يحلف أنه لايرجع يحضر حلقتي، ففعلنا[1]

كلوا بين يديه حتى يعرق:

استأذن جحظة على صديقٍ له مبخلٍ؛ فقال غلمانه: هو محمومٌ؛ فقال لهم: كلوا بين يديه حتى يعرق.

ما رأيت أذل من الرغيف في يدك:

وقال جحظة: أكلت مع بخيلٍ مرة؛ فقال لي: يا هذا، ما رأيت أذل من الرغيف في يدك [2].

ولا يكاد يوجد:

قال جحظة: قال لي ثعلب: ' المرأة الصالحة كالغراب الأعصم '، وهو الأبيض الرجلين، ولا يكاد يوجد [3].

ومن حكمه:

وللمساكين أيضا بالندى ولعٌ.

وقال أيضا:

وآفة التبر ضعف منتقده.

وقال أيضا:

متى يلتقي الميت والغاسل؟

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 211/1.
(2) الآبي، نثر الدر، 196/3.
(3) الآبي، نثر الدر، 81/7.

وقال أيضا:

لا تعـــدن للزمـــان صـــديقا ::: وأعـــد الزمـــان للأصـــدقاء

وقال أيضا:

وما كذب الذي قـد قـال قبلـي ::: إذا مـا مـر يـوم مـر بعضـي

وقال أيضا:

إذا الشـــهر حـــل ولا رزق لي ::: فعـــدي لأيامـــه باطـــل

وقال أيضا:

وإذا جفـــــاني جاهـــــلٌ ::: لم أســـتخر مـــا عشـــت قطعـــه
وجعلتـــه مثـــل القبـــو ::: ر أزوره في كـــل جمعـــه[1]

يكذب عليَّ وأكذبُ عليه:

قال جحظة: قال لي بعض إخواني: رأيت إنساناً يشتم مخنَّثاً أقبح الشَّتم والمخنَّث يُجيبه من المدح والتفضيل له بأحسن ما يكون، فلمَّا طال الأمر بينهما التفت المخنَّث فقال لي: يكذب - وحياتك - عليَّ وأكذبُ عليه، فضحكت سائر يومي من قوله[2].

فحيرني حسنها:

قال جحظة: وصف لي خياط يقول الشعر، فذهبت إليه لأسمع وأهزأ به، فأستنشدته فأنشدني:

أيـــا مـــن وصـــله نعـــم ::: ويـــا مـــن قولـــه نعـــم
تقـــول لقـــد ســـعى الواشـــو ::: ن في التحـــريش لا ســـلموا
وقـــد رامـــوا قطيعتنـــا ::: فقلـــت لـــه: أنـــا لهـــم

قال: فحيرني حسنها[3].

فلا تطمع:

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 3 /98.
(2) الخالديان، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين، 83/1.
(3) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 5/1.

قال جحظة: سأل رجل رجلاً عن جارة له أراد أن يتزوجها، فقال: إن كنت تريدها خالصة لك من دون المسلمين فلا تطمع[1].

الفضة أخذت الفضة:

قال جحظة: فقدت مشربة من فضة في دار بعض الرؤساء الجلة، فوجه إلى ابن خامان المنجم فحسب فقال: المشربة سرقت نفسها، فضحك منه فغاظه ذلك فقال: هل في الدار جارية يقال لها فضة؟ فأحضرناها فقال: هذه أخذتها، فسألناها فأقرت، فقال: الفضة أخذت الفضة، وخرج غضبان، فوصل بمال، فحلف بالطلاق أنه لا يقبل شيئاً[2].

وهؤلاء بنوهم:

قال جحظة: دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يوماً، فجاءه مشيخة، فأمرهم بالجلوس عن يمينه، وجاء كهول فأمرهم بالجلوس عن شماله، ودخل أحداث فوقفوا بين يديه ولم يأمرهم بالجلوس. فسألته عنهم، فقال: هؤلاء بنيّ، وأومأ إلى الشيوخ، وهؤلاء بنوهم وأومأ إلى الكهول، وهؤلاء بنوهم وأومأ إلى الأحداث[3].

جحظة يصف ضيق العيش:

ألم جحظة البرمكي بهذا المعنى فقال:

إنّي رضيت من الرحيق ::: بشراب تمرٍ كالعقيق
ورضيت من أكل السمي ::: ذ بأكل مسودّ الدقيق
ورضيت من سعة الصحو ::: ن بمنزلٍ ضنكٍ وضيق
وجعلت تغريد الحما ::: مة منزلي عند الشروق
فغدوت كسرى صاحب ال ::: إيوان والعيش الأنيق
وحجبت نفسي عن حجا ::: ب الباخلين ذوي الطريق

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 64/1.
(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 309/1.
(3) أبو الفرج الأصبهاني، الديارات،20/1.

القـــــــاطعين مخافـــــــة ال ::: إنفـــاق أســـباب الصّـــديق[1]

وقال جحظة البرمكي في صفة ثقيل:

يا لفظــة النعــي بمــوت الخليــل ::: يا وقفــة التوديــع بــين الحمــول
يا شربة اليارج يا أجــرة المنـــزل ::: يـــا وجـــه العـــدو الثقيـــل
يا طلعــة الــنعش ويــا منـــزلا ::: أقفر مــن بعــد الأنــيس الحلــول
يــا نهضــة المحبــوب مــن غضــبةٍ ::: يــا نعمــة قــد آذنــت بالرحيــل
ويــا كتابــا جــاء مــن مخلــف ::: للوعــد مملــوء بعــذر طويــل
يــا بكــرة الثكلــى إلى حفــرة ::: مســتودع فيهــا عزيــز الثكــول
يــا وثبــة الحــافظ مســتعجلا ::: بصــرفه القينــات عنــد الأصــيل
ويــا طبيــب قــد أتــى بــاكراً ::: على أخــي ســقم بمــاء البقــول
يــا شــوكة في قــدم رخصــةٍ ::: لــيس إلى إخراجهــا مــن ســبيل
يــا عشــرة المجــذوم في رحلــه ::: ويا صــعود الســعر عنــد المعيــل
يــا ردة الحاجــب عــن قســوة ::: يا نكســة بعــد بــرء العليــل![2]

وعلى أثر قبح الصورة يقول بعض الشعراء في جحظة:

مــن كــان مشــتاقاً إلى منكــر ::: فجحظــة أنكــر مــن منكــر
لــو عــذب اللّــه بــه نــاره ::: أطفأهــا بــرداً ولم تزفــر[3]

لأني أشبعت من أجعته :

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي، قال: حدثني أبو علي بن الأعرابي الشاعر قال: كنت في دعوة جحظة، فأكلنا، وجلسنا نشرب، وهو يغني، إذ دخل رجل، فقدم إليه جحظة زلة كان زلها له من طعامه ونحن نأكل، وكان بخيلاً على الطعام.

قال: وكأن الرجل، كان طاوي سبع، فأتى على الزلة، وشال الطيفورية فارغة، وجحظة يرمقه بغيظ، ونحن نلمح جحظة، ونضحك.

(1) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر،68/1.
(2) اليوسي، زهر الأكم في الأمثال و الحكم، 151/1.
(3) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 99/1.

فلما فرغ، قال له جحظة: تلعب معي بالنرد (الطاولة)؟ فقال: نعم.

فوضعاها بينهما، ولعبا، فتوالى الغلب على جحظة من الرجل، بأن تجيء الفصوص على ما يريد الرجل من الأعداد.

فأخرج جحظة رأسه من قبة الخيش، إلى السماء، وقال، كأنه يخاطب الله تعالى: لعمري، إني أستحق هذا، لأني أشبعت من أجعته[1].

فقد رحمتهم من الجوع :

قال أبو علي: حدثني أبو القاسم الحسين بن علي البغدادي، وكان أبوه ينادم ابن الحواري، ثم نادم البريديين بالبصرة، وأقام بها سنين، قال: كان جحظة خسيف الدين، وكان لا يصوم شهر رمضان، وكان يأكل سراً.

فكان عند أبي يوماً في شهر رمضان، مسلماً، فأجلسته.

فلما كان نصف النهار، سرق من الدار رغيفاً، ودخل المستراح، وجلس على المقعدة.

واتفق أن دخل أبي فرآه، فاستعظم ذلك، وقال: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: أفت لبنات وردان ما يأكلون، فقد رحمتهم من الجوع[2].

ذنب جحظة إلى الزمان:

قال جحظة: أنشدت عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، قولي:

قد نادت الدنيا على نفسها ::: لو كان في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر واريته ::: وجامع بذرت ما يجمع

فقال لي: ذنبك إلى الزمان الكمال[3].

القاضي التنوخي يهدي إلى جحظة البرمكي طيلساناً:

قال: أهدى إلي أبو القاسم التنوخي القاضي، رضي الله عنه، طيلساناً

(1) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، 123/1.
(2) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، 201/1.
(3) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، 230/1.

فكتبت إليه:

قد أتى الطيلسان مستوعباً شك ::: ري في حسن منظر و رواء
مثقلاً عاتقي و إن كان في الخف ::: ة و اللطف في قياس الهواء
تسرح العين منه و القلب في الآ ::: ل، و في الماء، و السنا، و البهاء
يتلقى حر الصدود ببرد ال ::: وصل و الصيف في طباع الشتاء
يخفق الدهر في النسيم كما يخ ::: فق قلب الجبان في الهجاء
كل جزء منه يمج إلى الأر ::: واح روح المنى و برد الوفاء
ليس فيه للنار و الأرض حظ ::: هو من جوهري هواء و ماء
زاد في همتي و نفسي و تأ ::: ميلي علواً و زاد في كبريائي
فكأني إذا تبخترت فيه ::: قد تطيلست نصف بدر السماء[1]

* * *

(1) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، 352/1.